

## جدل الأضداد في مجموعة الشاعر صادق الطريحي

(للوقت نص يحميه)\*

د. عيسى سلمان درويش

لقد وهبه الكلام صمتا، فوهب النص وقتا، وكمن يبحث بين رماد اندثاره عن جذوة احتراق، وبين أوجار ذاكرته وأوجاعها المترفة بالهواجس والأخيلة والتصورات والأحلام في عالم متغير وقامع، أوجز الطريحي وليمة منظوره الإبداعي في قصائد نازفة، أزاحت النقاب عن الوجع الذي أوجع قلبه، وهو لم يزل في هاجسه الطفولي، يسكن خيمته بعيدا عن الخواء والمجالدة الصعبة، وفي طقس من العتمة الصارخة وبدم لم يزل يدفع خطأ الوجدان إلى تعميق المشهدية الإبداعية، وفي دواخل تلك الذات التي تصدت بروحها الوثابة الهادئة المتسامية أقبل الطريحي بنبل الشاعر يلامس بعواطفه الحارة النبيلة هواجس النفس وهي مهددة في كينونتها وبقيح تشوهاتها الممتدة منذ الصرخة الأولى؛ ليعطي جاهزيته تواسلا اسطوريا تراثيا. لقد حاوره صمته، فامتد صوته في أعماق التأريخ حاملا سلة من ثمار الكلام لآلهة الشعر؛ فوهبته فيضا من نور القداسة وسحر الحرف، وبأداء اسطوري ربط الحاضر بالماضي راح الطريحي يحفز فطرة الانسان ليقدّم قربانه الأزلي كنهردم لا يجف / حتى يتوضأ كل الشهداء/ ص 6 وحاول أن يتحرر من موته حينما خلق أسباب بعثه، وكتب على شاهدة قبره: / هذا الذي منح الطبيعة نقشه/ نور من النخل المعمد بالدماء/ خنقته حشرجة القطارات الحضارية/ فمضى يدون نقشه/ ص 25

ولد الشاعر من جديد بعد أن سقط /مضرجا بدم تفجر بالصراخ/ ص 12 وشعر بالموت لكنه لم يمّت، فقد وجد بالحلة فسحة للناجين من / الأعراب / والخردل / والمقابر/ فكانت الحلة في تصوراتهِ هي البدء، وظل الله على الأرض، وهي الأم والمئذنة والنهر... لقد كانت الحلة مختلطة بوعي الشاعر وذائقته الجمالية، فوهبها من الشعر ما اكتمل معه الملمح الجمالي لتلك المدينة وهي تنام مطمئنة، لتستيقظ مذعورة على أصوات الانفجارات : / كانت الحلة بدءا / كانت مئذنة / تتشكل من أزهار البرتقال ومن خبز الأيتام/ وما نثرته القنابل من ملح الزهراء/ ص 7.

الحلة عند الشاعر مدينة الحلم الكبير، والطهارة الممتدة منذ الأزل، وهي عنده كما هي (جيكور) عند السياب، فالحلم بالانعتاق من ربقة الردى ومن استباحة المشاعر النبيلة، وحد بين رؤيتي الشعارين. وكما تلاقت رؤيته مرة بالسياب نراه في قصيدة (سيدة المشية) يتنفس بنفس محمود درويش . دون أن يقلده . فيسمي الخبز بلادا. ويعدّ أولاده في (نص الأب) ويحذو حذوه في النظر إلى القضية التي يتبناها. في هذه المجموعة تصوير

للواقع المرير، وللتجربة التي تحفز المبدع على استشراف حدود إبداعه، وفيها كذلك، التوق إلى الغياب في مجهل ينأى عن العنف، ونبرة تختلط فيها مدركات الحواس وتتلأشى الأزمنة؛ لتعود عشتار بعد كل موت محملة بالخبز، كإيقاع أخضر لتغسل جسد تموز المطعون عند مياه الجنوب... (قصيدة عصب ملتو). وحد الطريحي في هذه المجموعة بين أساطير العالم وأديانه وثقافته، ووحده بين العراقيين ومذاهبهم، وحاول أن يخلق إنسانا تتمثل فيه كل قيم الخير، وأن ينشئ عالما جديدا وأن يفضح ما يقف عائقا أمام القيم النبيلة، وهو ما ينطبق عليه قول بودلير وهو يخاطب المدينة (( لقد أعطيتني وحلك، وأنا صنعت منه ذهباً)) لذلك وجد بين الثنايا الملتوية لكل عيوب الواقع صورة مشرقة تنسرب بخفاء من اجل أن تتكسر أجنحة الظلام.

وبفيض من التناصبات كان الماضي والحاضر فيها نقطة للبدء والانهاء / لا تسقني ماء السواد فإنني / وهنا قد استنشقت أبخرة الرصاص / ص 68. أو / مازال ابن الخطاب يقول/ أقضانا ابن أبي طالب/ص 6. وعلى وفق مجموعة من المقاربات الإبداعية، تتفتق الرؤيا عن ملامح فياضة لتنقلنا في تخوم مجموعته الشعرية ونحن محملون برؤى متعددة النوازع، فثمة وجه تفرد بالخشوع، ومليكة تمشي الهوينا، فإذا كشفت عن ساقها غنى الشاعر (النبي) بعشقتها (قصيدة الخضراء والغريق). وتسكن الأنثى إيقاع الرؤية المضببة جسدا ممتدا عبر نصوص المجموعة خارج حدود الجسد الجنسي. والشاعر مبحر في طوفانه الذي يولد من الموت تارة، ويموت أخرى من أجل الولادة، فإذا هي الحلة وسيدة المشيئة، وآسيا، وعشتار، ومريم، والأم التي وزعت أبناءها في الجهات الأربع وباتت تنتظر قدومهم، وهي المليكة التي أسرجت لها قوافي الأناشيد الحبسية: / للمليكة تمشي الهوينا فوق أمواه الزمان/ تتألق الأنغام في خطواتها/ تتلون الأرض الندية لونها تنفس الأزهار عطر بهائها/ أسرجت قافية الأناشيد الحبسية./ص 37.

وختاما فإنني أرى في هذه المجموعة تجربة متعددة الرؤى، تتقاذفها معطيات الواقع الذي صنع ملامحها، فمع اليأس أمل ومع الحزن فرح، ومع الموت حياة. وهي تجربة وقفت بوجه ما يطيح بالإنسان، وتبينت رؤية الجميع فقدر لها أن تكون خاصة عامة، تجربة لكل الكادحين الذين بذروهم آباؤهم في خضم هذا الوجود الفظ، وحاولوا أن يخلقوا عالما قائما على الحب والبذل. إنها ليست تجربة شاعر حاول الواقع أن يقهره فقهر الواقع على صعيدي العمل والفكر؛ إنها تجربة حياة، وضع فيها الشاعر لمساته الخاصة.